أحكام من القرآن الكريم

فوائد هذه الآية الكريمة:
١ـ من فوائدها: تحريم لبس الحق بالباطل؛ لأن الله ـ تعالى ـ نهى عنه بني إسرائيل، وما نهي عنه بنو إسرائيل مما هو قبيح لذاته ينهى عنه سائر الأمم؛ ويتفرع عن هذه الفائدة التحذير مما يصنعه أهل البدع من زخارف القول التي يريدون بها أن يمكنوا بدعهم في قلوب الناس، فإنك إذا قرأت كتبهم ظننت أن الحق معهم، ولكن عند التأمل يتبين أنهم يريدون إلباس الحق بالباطل؛ ولهذا تجدهم يأتون بعبارات مجملة؛ فيقولون ـ مثلا ـ: إن الله ـ تعالى ـ ليس في حيز، وليس في جهة، وليس بجسم، و وما أشبه ذلك من العبارات التي يريدون بها التوصل إلى إنكار صفات الله ـ عز وجل ـ وإنكار علوه على خلقه، فإذا قرأ القارئ مثل هذا الكلام، وما نبهوا به من العبارات التي يحسبها الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله فوفاه حسابه، والله سريع الحساب، إذا قرأ القارئ هذا الذي كتبوا ظن أن هذا هو الصواب.

٢- ومن فوائدها: أن من سلك هذا المسلك من هذه الأمة فيه شبه من اليهود والنصارى، فعليه أن يحذر من ذلك؛ لأن من تشبه بقوم فهو منهم.

3- ومن فوائد هذه الآية الكريمة: تحريم كتمان الحق، وكتمان الحق يكون في حالتين: الحالة الأولى: أن يسأل سائل عن الحق فيكتم الحق

سورة البقرة

٢٠١

عنه ولا يجاب به؛ لغرض من أغراض الدنيا، والحالة الثانية: أن يحتاج الناس إلى بيان الحق وإن لم يسألوا، فإذا رأى العالم الناس محتاجين إلى الحق وجب عليه بيانه، وإن لم يسألوه، والفرق بين الحالتين أن الحالة الأولى التي يكون فيها الكتان عند سؤال السائل يقع السؤال فيها بلسان المقال، أما الثانية فيقع السؤال فيها بلسان الحال.

٤ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أنه إذا كتم الحق مع العلم به كان أشد قبحًا، أما إذا لم يعلم به الإنسان فإنه لا يجوز أن يتكلم به أصلا؛ لأنه إذا تكلم بها لا يعلم فقد قال على الله ما لا يعلم، وهذا من المحرم الذي حرمه الله في كتابه في قوله: « قل إنما حرم ربي الفواحش ما

ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطنا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾ [الأعراف: 33].

ثم قال الله ـ تعالى : (وأقيموا الصلوة و اتُوا الزكوة واركعوا مع الراكعين - .

وقوله: «وأقيموا الصلوة »؛ يعني: انتوا بها مستقيمة تامة، وليس المراد بقوله: «وأقيموا الصلوة ، قوموا بالإقامة التي هي إعلام بالقيام بالصلاة.
وقوله:*وءاتُوا الزكوة »؛ أي: أعطوها لمستحقها، والزكاة هي

٢٠٢

أحكام من القرآن الكريم

جزء معين في أموال مخصوصة تدفع لمستحقها. واركعوا مع الراكعين»؛ أي: اخضعوا الله ـ عز وجل الخاضعين له، فيكون المراد بالركوع ـ هنا ـ مطلق الذل؛ لأن الركوع في اللغة العربية يراد به مطلق الذل؛ كما في قول الشاعر :
مع
ولا نهن الفقير علك أن تز كع يوما والدهر قذ رفع

ويحتمل أن يكون المراد به ركوع الصلاة، ويكون تخصيصا بعد تعميم؛ لأن قوله: «وأقيموا الصلوة * يشمل إقامتها بقيامها
وركوعها، وسجودها، وقعودها.

فوائد هذه الآية الكريمة:
ا- وجوب إقامة الصلاة؛ لأن الله ـ تعالى ـ أمر بها، والأصل في الأمر الوجوب، ولكن الإقامة ـ إقامة الصلاة من حيث الواقع - تنقسم إلى قسمين: إقامة واجبة؛ وهي أن يأتي بواجبات الصلاة، وأركانها، وشروطها؛ أي: أن يأتي بها لا تصح الصلاة إلا به، فهذه إقامة واجبة لابد منها، وإقامة غير واجبة؛ وهي أن يأتي بمكملات الصلاة التي تصح الصلاة بدونها، وكله مأمور به، لكن ما لا تصح الصلاة بدونه مأمور به على الوجوب، وما تصح الصلاة بدونه مأمور به على سبيل
الاستحباب.

سـورة البقـرة

٢٠٣

٢ـ ومن فوائد الآية الكريمة: وجـوب إيتاء الزكـاة؛ وهـي المـال المدفوع لمستحقه من أموال معينة معروفة عند أهل العلم. 3ـ ومن فوائدها: أهمية إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة؛ لأن الله أمر بها وخصصها بعد قوله: (وإينى فاتقون » مع أن التقـوى تـشمـل فعـل جميع الأوامر وترك جميع النواهي.

الله
٤ـ ومن فوائدها: فضيلة الركوع في الصلاة إذا قلنـا بـأن المـراد بالركوع الركوع في الصلاة، أما إذا قلنا بأن المراد بالركوع التواضع الل عز وجل ـ والـذل لـه؛ فـإن في الآيـة فـائـدة وهـي وجـوب الـذل الله والخضوع له.

هـ ومن فوائدها: ما استدل به بعض العلماء عـلى وجـوب صـلاة الجماعة؛ لأنه قال: «واركعوا مع الراكعين»، وهذا الاستدلال محـل نـظـر وتأمل؛ لأن الآية ليست صريحة في ذلك؛ إذ يحتمـل أن يكون المعنى كونوا معهم في الجملة؛ أي: اركعوا كما يركع الناس، ولا يلزم أن يكون في ذلك مصاحبة، والعلم عند الله.

ثم قال الله ـ تعالى ـ: « أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتب أفلا تعقلون .

٢٠٤

أحكام من القرآن الكريم

الخطاب ـ هنا ـ لبني إسرائيل، والاستفهام للتوبيخ والإنكـار؛ يعني: كيـف تـأمرون النـاس بـالبر وتتركـون أنفسكم وأنتم تتلـون الكتاب؟!

وقوله: (أتأمرون الناس بالبره؛ البر هنا: كـل مـا يقـرب إلى الله - عز وجل ـ من الطاعات، ويدخل في ذلك ـ أيضا ـ ترك المعاصي؛ لأن البر إذا ذكر وحـده شـمـل فعـل الطاعـات وتـرك المعاصي، وإذا قـرن بالتقوى صـار المـراد بـالبر فعـل الطاعـات، والمراد بـالتقوى تـرك

المحرمات.

وقوله: «وتنسون أنفسكم»؛ أي: تتركونها، لا تأمرونها بالبر، ولا تهتمون بها، والحال أنكم تتلون الكتاب المنزل عليكم، وتعرفون ما فيه من بشاعة هذا المنهج؛ وهو أمركم الناس بالبر مع نسيان أنفسكم، ثم وبخهم الله مرة أخرى بقوله: «أفلا تعقلون»؛ أي: أن فعلكم هذا ليس فعل ذي عقل؛ لأن العاقل يبدأ أول ما يبدأ بنفسه، ثم يثني
بإصلاح غيره.

فوائد الآية الكريمة:

1ـ الإنكار الشديد على من يأمر الناس بالبر ولا يفعله؛ لقوله: أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم؟.
٢ـ أن هذا المنهج كما هو مخالف للشرع فهو مخالف للعقل؛ لقوله:

سورة البقرة

اه
٢٠

أفلا تعقلون * .
3ـ أن هذا المنهج يوجب ألا يأتمر الناس بأمر الآمر ولا ينتهوا بنهيه؛ لأنهم سيقولون: لو كان هذا خيرا لكان أول من يفعله، ولو كان شرا لكان أول من يجتنبه، فكيف يأمرنا ولا يفعل أو ينهانا ويفعل؟ فيكون في هذا منع لسلوك الناس سبيل البر.

٤ـ ومن فوائد الآية الكريمة: الإشارة إلى أن الإنسان ينبغي له ـ إن لم نقل يجب عليه ـ أن يبدأ بنفسه، وقد دلت السنة على ذلك؛ قال النبي و: «ابدأ بنفسك فتصدق عليها، فإن فضل شيء فلأهلك» (ا)، ولا ريب أن أقرب شيء إليك هو نفسك، فكونك تسعى لإصلاح غيرك مع فساد نفسك، لا شك أن هذا خلاف الشرع وخلاف العقل. هـ ومن فوائد الآية الكريمة: أن العالم يلحقه من اللوم ومن الذم أكثر مما يلحق الجاهل؛ لقوله هنا: (وأنتم تتلون الكتب). 6ـ ومن فوائد الآية الكريمة: أن كل ما يخالف الشرع فهو مخالف للعقل، لكن المراد بالعقل العقل الصحيح السالم من الشبهات والشهوات، أما العقل الفاسد المغمور بالشهوات والشبهات فليس بعقل؛ ولهذا يصف الله الكفار بأنهم (صم بكم عمى فهم لا يعقلون ؟

[البقرة: 171]، مع أنهم أذكياء، لكن الذكاء شيء والعقل شيء آخر؛
(١) رواه مسلم: كتاب الزكاة، باب الابتداء في النفقة بالنفس، ثم أهله، ثم القرابة، رقم (٩٩٧).

فالعقل ما يعقل الإنسان عما يضره ويمنعه مما يضره، والذكاء هو سرعة إدراك الأمور وفهمها.

ثم قال الله ـ تعالى -: ﴿ واستعينوا بالصبر والصلوة وإنها لكبيرة إلا على الخمشيعين لي ؟ .

في الآية الكريمة الأولى يأمر الله - سبحانه وتعالى ـ بالاستعانة بأمرين: الصبر والصلاة؛ فالصبر حبس النفس عن التشكي والتسخط، والصلاة هي التعبد الله - عز وجل ـ بالعبادة المعروفة المفتتحة بالتكبير المختتمة بالتسليم، ويبين أن الاستعانة بالصبر والصلاة كبيرة إلا على الخاشعين، أو أن الصلاة نفسها كبيرة إلا على الخاشعين؛ والخشوع ه الذل، بل هو أعظم الذل وأكمله، والمراد بذلك الخشوع الله ـ عز وجل.
أحكام وفوائد هذه الآية:
١ـ طلب الاستعانة بالصبر في مكابدة الأمور؛ لأن الإنسان الذي لا يصبر لا يتم له مطلوبه؛ فإن كثيرا من الأمور لا تأتي الإنسان بسهولة، بل تحتاج إلى تحمل وصبر، وقد ذكر أهل العلم ـ رحمهم الله - أن الصبر ثلاثة أقسام: صبر على طاعة الله، وصبر عن معصية الله، وصبر على أقدار الله المؤلمة؛ فأما الصبر على طاعة الله فهو أن يقوم الإنسان بأوامر الله - عز وجل ـ غير متضجر ولا ضائق بها صدره، بل

يتقبلها بانشراح وسرور، حتى يقوم بالعبادة وهو يحب أن يقوم بها، وأما الصبر عن محارم الله فهو الكف عما حرم الله عليه، سواء أكان مما يتعلق بحقوق الله، أو ما يتعلق بحقوق العباد، فيكف نفسه عن العدوان، والظلم، والكذب، وعما هو أعظم من ذلك من

الشرك، والكفر، ونحو هذا، والثالث: الصبر على أقدار الله المؤلمة؛ لأن أقدار الله ـ تعالى ـ قد تكون ملائمة للإنسان يفرح بها، ويطمئن إليها، ويسر بها، وهذه لا تحتاج إلى صبر، اللهم إلا إذا صبر على شكرها، والثانية: أقدار مؤلمة شاقة على الإنسان، يتعب منها، فهذه تحتاج إلى مصابرة وإلى تحمل عنائها، فكلما مرّن الإنسان نفسه على الصبر والتحمل؛ ازداد ثباتا، وحصل له من مطلوبه ما لم يحصل له لو تضجر، وهذا شيء مجرب؛ فإن الإنسان إذا تمزن على الصبر والتحمل صار عنده من مدافعة الأمور ما ليس عند غيره.

٢ـ الاستعانة بالصلاة على مكابدة الأمور أيضا، وقد ذكر عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا حزبه أمر ـ يعني كربه أو شق عليه ـ فزع إلى الصلاة)؛ وذلك لأن الصلاة تنسي الإنسان الدنيا إذا كان مخلصا فيها؛ فإن الإنسان يقف بين يدي الله ـ عز وجل ـ يناجيه ويتقرب إليه بتعظيمه وتلاوة كتابه، ويناجيه بالدعاء؛ يقول: رب اغفر لي، وارحمني،

(١) انظر منتخب كنز العمال (٣/ ١٤٨).

وما أشبه ذلك؛ فيتسلى بها الإنسان عن أمور الدنيا، وحينئذ يتحمل المشاق؛ ولهذا قال النبي ﷺ: «حبب إلي من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة»(1)؛ فهي قرة عين المؤمن.

ويذكر عن عروة بن الزبير ـ رحمه الله ـ وهو من الفقهاء السبعة الذين اشتهروا في زمن التابعين ـ أنه أصابته آكلة في رجله، وقرر الأطباء أنه لابد من قطعها، ولم يكن في ذلك الوقت بنج ينج به الإنسان، فقال لهم: إذا دخلت في الصلاة فأتوا واقطعوها؛ لأنه إذا دخل في الصلاة اشتغل بها عا سواها؛ فتقطع رجله وهو لا يشعر؛ لشدة تعلقه بالله - سبحانه وتعالى.

3ـ ومن فوائدها أيضا: أن الخاشع المطمئن لأمر الله المخبت له تسهل عليه الصلاة، ويسهل عليه الصبر، ولا تكون أمرا شائًا عليه؛ لقوله ـ تعالى ـ: (وإنها لكبيرة إلا على الخشيين ؟.

وقوله ـ تعـالى -: «الذين يظنون أنهم تلقوا ربهم وأنهم إليه ـ
راجعون.
يظنون أنهم تلقواريهم﴾ أي: يتيقنون ذلك؛ كما قال الله - تعالى -:

(ا) رواه الإمام أحمد؛ والنسائي: كتاب عشرة النساء، باب حب النساء، رقم (3939، 3940)؛
والحاكم؛ والبيهقي؛ ورمز له السيوطي بإشارة الحسن، انظر الجامع الصغير (٢٢٣/١)

سـورة البقـرة

٢٠٩

(يأيها الإنسين إنك كادح إلى ربك كذ كا فملقيه ﴾ [الانشقاق: 6]؛ فهـم موقنـون بـأنهم
ملاقـو ربهـم، راجعـون إليـه، وأن الله ـ عـز وجـل -
سيحاسبهم على أعمالهم.

أحكام وفوائد هذه الآية:

ا ـ ومن فوائـد هـذه الآيـة الكـريمة: إثبـات لـقـاء الله، وأن الإنسان سيلاقي ربه، وهو كذلك؛
قال ـ تعالى ـ: (يأيها الإنسين إنت كادح إلى ربك كذكا فملقيه ﴾ [الانشقاق: 6].

٢ ـ ومن فوائدها: الثناء على الموقن بهـذا اللقـاء؛ لقوله: «الذين يظنون أنهم ملفوازية» أي:
يتيقنون.

٣ ـ ومن فوائدها أيضا: أن هـذا اليقين أو العلـم سـبب للسعادة وللتقوي على الأعمال
الصالحة؛ لأن الإنسان إذا علـم أنـه سـيرجع إلى ربه عمل لذلك عمله، بخلاف الإنسان الغافل
الذي لا يهتم بها أمامـه، فنسأل الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يجعلنـا جميعـا مـن المهتـدين بآياتـه
القائمين بمرضاته؛ إنه جواد كريم.

ثم قال الله - سبحانه وتعالى -: «ينبني إسراءيل أذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأتى فضلتكم
على العلمين (واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفعة ولا يؤخذ منها
عدل ولا هم ينصرون .

أحكام من القرآن الكريم

في هاتين الآيتين يذكر الله - سبحانه وتعالى ـ بني إسرائيل؛ وإسرائيل هو يعقوب ابن إسحاق بن إبراهيم الخليل ـ عليه الصلاة والسلام ـ يذكرهم بنعمته التي أنعم الله بها عليهم، وما أكثر النعم التي أنعم الله بها على بني إسرائيل؛ ومنها أنه فضلهم على العالمين؛ أي: على عالم زمانهم، ليس على العالمين إلى يوم القيامة؛ لأن هذه الأمة أفضل الأمم وأكرمها على الله ـ عز وجل ـ؛ كما قال ـ تعالى ـ: «كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ثم يأمرهم الله - عز وجل ـ أن يتقوا ذلك اليوم الذي لا تجزي فيه نفس عن نفس شيئا؛ فلا أحد يغني غيره، بل لكل امرئ يومئذ شأن يغنيه، ولا يقبل من النفس شفاعة، ولا يؤخذ منها عدل؛ أي: فدية، بل كل إنسان مرهون بعمله لا ينصر، ولا يقبل منه شفاعة، ولا يؤخذ منه عدل.
ما يستفاد من هاتين الآيتين من صور:
١- بيان نعمة الله - سبحانه وتعالى ـ على بني إسرائيل؛ حيث ذكرهم بهذه النعمة: «اذكروا نعمتى»، وهي مفرد مضاف؛ فيشمل جميع النعم التي أنعم الله بها عليهم.

٢- ومن فوائدها: أنه ينبغي لكل داعية أن يذكر المدعو بنعم الله ؛ لأن التذكير بنعم الله يستلزم أن يقوم المدعو بطاعة المنعم؛ لأن ذلك هو
حقيقة الشكر.

ورة البقرة

١٢١

3ـ ومن فوائد الآية: أن الله فضل بني إسرائيل على غيرهم من العالمين، ولكن هذا خاص في زمانهم كما أسلفنا آنفا، أما هذه الأمة فهي أفضل من بني إسرائيل.

٤ـ ومن فوائد هاتين الآيتين: التذكير بيوم القيامة الذي لا تجزي فيه نفس عن نفس شيئا.

هـ ومن الفوائد: وجوب تقوى هذا اليوم؛ وذلك باتخاذ الوقاية من عذابه، ولا وقاية من عذاب يوم القيامة إلا بفعل أوامر الله، و اجتناب نواهيه؛ لأن هذا هو الذي يقي من عذاب الله ـ عز وجل ـ وهذا المعنى الذي ذكرناه للتقوى هو أجمع ما قيل فيها.

6ـ ومن فوائد هاتين الآيتين: أنه لا تقبل الشفاعة من النفوس في ذلك اليوم، وهذا عام أريد

به الخاص؛ وذلك أن الذين لا تقبل منهم الشفاعة هم الذين لا يرتضيهم الله - عز وجل ، وأما من ارتضاهم الله؛ فإن الله ـ تعالى ـ يقبل منهم الشفاعة، فيمن يستحق الشفاعة والشفاعة لا تكون إلا بشرطين:

الشرط الأول: أن يأذن الله بها.
والشرط الثاني: أن يكون راضيا عمن شفع وعمن شفع له؛ كما قال الله ـ تعالى ـ: « من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وقال ـ تعالى ـ: «يومين لا تنفع الشفعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له

= ١٢١٢

أحكام من القرآن الكريم

قولًا ﴾ [طه: 109]. وقال - تعالى -: ﴿ ولا يشفعون إلا لمن أرتضى *
[الأنبياء: ٢٨].

ـ ومن فوائد هاتين الآيتين: أنه لا عدل يؤخذ عن الإنسان في ذلك اليوم بخلاف المضايق في الدنيا؛ فإن الإنسان قد يدعو عدلا عنه؛ أي: شخصا يعدله بنفسه وينجو بهذا المعادل، لكن في يوم القيامة لا يمكن ذلك.

٨ـ كذلك من فوائد هاتين الآيتين: أن من لا تقبل منه الشفاعة ولا يؤخذ منه عدل؛ لا ينصر أيضا، فلا يتناصر المجرمون في ذلك اليوم؛ لأن الأمر كله لله.

٩ـ ومن فوائد هاتين الآيتين: التذكير العام لكل أحد بأهوال هذا اليوم العظيم، الذي لابد أن يصير إليه كل حي، فعليه أن يستعد له، وأن يتأهب له بالأعمال الصالحة المقربة إلى الله ـ عز وجل ..

ثم قال الله ـ تعالى : (وإذ نجينكم من قال فرعون يسومونكم سوء العذاب يذيكون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذالكم بلاء من ربكم عظيم ان وإذ فرقنا يكم البخر فأنجينكم وأغرقنا ال فرعون وأنتم تنظرون .

سورة البقرة

قوله: «وإذ نجينكم ، الخطاب لبني إسرائيل.
وال فرعون * هم أتباعه الذين يتولونه ويتوجهون بتوجيهاته؛ فآل فرعون كانوا يسومون بني إسرائيل سوء العذاب؛ يستعبدونهم، يذبحون أبناءهم، يستحيون نساءهم؛ أي: يستبقونهن، وهذه سياسة الجور والظلم؛ فهم يذبحون الأبناء؛ لئلا ينشئوا ويقاوموا آل فرعون؛ ولأجل أن يقل النسل في بني إسرائيل، ولأجل أن يكونوا أذلة أمام آل فرعون؛ لأن النساء ـ مها كن ـ فإنهن في مقام الذل أمام العدو. وفي ذالكم بلاء من ربكم عظيم »؛ أي: اختبار عظيم لكم، هل تصبرون على ما حصل لكم من الأذى؟ وهل شكرتم لما أنجاكم الله من هذا البلاء؟

ثم يذكرهم الله ـ تعالى ـ بنعمة أخرى؛ وهي أن الله فرق بهم البحر فأنجاهم وأغرق آل فرعون؛ وذلك حينها خرج فرعون بجنوده تابعا لموسى وقومه؛ ليقضي عليهم « فلما تراءا الجمعان قال أصحب موسى إنا لمدركون) قال كلا إن معي ربي سيهدين ع فأوحينا إلى موسى أن أضرب بعصاك البخر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم ﴾ [الشعراء: 61 - 63]، فدخل موسى وقومه في هذا الطريق وعلى أيمانهم وشمائلهم كتل الماء كالجبال، ولما نجوا دخل فرعون وقومه فأمر الله البحر فانطبق عليهم؛ فغرقوا عن آخرهم؛ ولهذا قال: «وأغرقنا ءال فرعون وأنتم

أحكام من القرآن الكريم

تنظرون * فكان في هذا نعمتان على بني إسرائيل؛ إحداهما: أن الله أنجاهم، والثانية: أن الله أغرق عدوهم.
من فوائد هاتين الآيتين:
1ـ أن الله - سبحانه وتعالى ـ نجى بني إسرائيل مرتين؛ المرة الأولى من آل فرعون حين كانوا يسومونهم سوء العذاب؛ فيذبحون الأبناء ويستبقون النساء، والمرة الثانية حين فرق بهم البحر، فأنجاهم من الغرق، وأغرق آل فرعون وهم يشاهدون ذلك.

٢ـ ومن فوائد هاتين الآيتين: بيان شدة بطش آل فرعون لبني إسرائيل حين كانوا

يمارسون معهم هذا الإذلال العظيم؛ وذلك بذبح الأبناء واستبقاء النساء؛ فإن ذلك أكبر إذلال للشعوب، أن يذبح رجالها، وتبقى نساؤها.

3ـ ومن فوائد هاتين الآيتين: أن الله - سبحانه وتعالى ـ يبتلي عباده ـ أحيانا ـ بالمصائب؛ ليعلم من يكون صابرا ومن يكون ضاجرا، وأحيانًا بالنعم؛ ليعلم من يكون شاكرا ومن يكون بطرا، والله ـ سبحانه وتعالى - في خلقه شئون، والمؤمن لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيرا له قال رسول الله ﷺ:«عجبا لأمر المؤمن! إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا المؤمن؛ إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر

سورة البقرة

٢١٥

فكان خيرا له» (١).
٤ـ ومن فوائد هاتين الآيتين: إثبات الحكمة الله ـ عز وجل ـ فيا يقدره على عباده، وهذا من مقتضى اسمه «الحكيم»؛ فإن الله ـ سبحانه وتعالى ـ حكيم فيها يقدره، وفيها يشرعه؛ وبه نعرف أنه لا يمكن أن يشرع شيئا عبثًا، أو أن يقدر شيئا عبثًا؛ قال الله ـ تعالى : (وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لعبين ما خلقتهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون * [الدخان: ٣٨، ٣٩]، ولكن أحيانا تخفى الحكمة علينا؛ لقصور أفهامنا، أو لتقصيرنا في طلب الحكمة، ولكن هذا لا يمنعنا من تمام الإيمان بأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ ذو حكمة، وأنه لا يفعل شيئا ولا يشرع شيئا إلا لحكمة عظيمة.

هـ .ومن فوائد هاتين الآيتين: أن بلاء الله ـ أي: ابتلاءه ـ يتنوع؛ فمنه ابتلاء يسير، ومنه ابتلاء عظيم، وذلك حسب ما تقتضيه الحكمة؛ فإن الله - سبحانه وتعالى ـ قد يبتلي من هو قليل الصبر وقليل الشكر ببلاء يسير يناسب حاله، ويبتلي من هو قوي على الصبر وعلى الشكر ببلاء أعظم؛ ليكون ذلك مناسبا لحاله؛ ولهذا جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ: «أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل، فالأمثل...» (٢)،

(١) سبق تخريجه ص(٣١).
(٢) رواه الترمذي: كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء، رقم (٢٣٩٨) وقال: «هذا حديث حسن صحيح»؛ وابن ماجه: كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء، رقم (٤٠٢٣)؛ والدارمي (٢/ ٣٢٠).

أحكام من القرآن الكريم

والواقع شاهد على ذلك؛ فإن الابتلاء الذي يجريه الله ـ عز وجل ـ على الأنبياء أعظم من الابتلاء الذي يجريه على من دونهم. 6 ـ ومن فوائد هاتين الآيتين: بيان قدرة الله - سبحانه وتعالى ـ في كيفية إنجاء بني إسرائيل وإغراق آل فرعون؛ وذلك أن الله - سبحانه وتعالى ـ جعل هذا البحر الذي هو من الماء السائل واقفا كالطود العظيم، في ضربة واحدة من موسى؛ أوحى الله إليه أن يضرب البحر بعصاه، فضربه؛ فانفلق، فكان كل فرق كالطود العظيم؛ أي: كالجبل
العظيم.

وقد ذكر بعض الناس أن الله جعل في هذه الكتل المائية؛ جعل فيها فرجا ينظر الناس بعضهم إلى بعض؛ ليطمئن بعضهم على البعض الآخر.

ـ ومن فوائد هاتين الآيتين: أنه من كمال طمأنينة العبد أن يرى عدوه أمامه وقد هلك؛ كقوله: «وأغرقنا ال فرعون وأنتم تنظرون » ؛ فإن الله لو أغرق آل فرعون أو أصابهم بعذاب لم يشاهده بنو إسرائيل لم تكن طمأنينة بني إسرائيل على هلاك فرعون وقومه كما لو كانت وهم
ينظرون.

هـ ومن فوائد هاتين الآيتين: الرد على الذين بهرتهم صنائع أعداء الله اليوم، وغرتهم حتى ظنوا أنه لا يمكن الانتصار عليهم، بل ربا

ورة البق

٢١٧

يتهكم بعضهم إذا قيل لهم: إننا لو رجعنا إلى دين الله حق الرجوع لانتصرنا على أعدائنا مهما بلغت قوتهم، فإننا نقول لهم: انظروا كيف كان هذا البحر طريقا يبسًا في لحظة واحدة، وفتح الله فيه اثني عشر طريقا بضربة واحدة بعصا موسى ، ثم بقيت كتل الماء كأنها جبال، وأغرق الله ـ تعالى ـ عدو بني إسرائيل وهم ينظرون إليهم، ثم انظروا ـ أيضا ـ ما فعل الله ـ

تعالى ـ بعاد من الريح العاصفة المدمرة، وما فعل الله ـ تعالى ـ بثمود قوم صالح؛ حيث أخذتهم الصيحة؛ فأصبحوا في دارهم جاثمين، فنحن لو صدقنا الله ـ عز وجل ؛ لهيا لنا من أسباب
النصر ما لا يخطر على البال.

ثم قال ـ عز وجل -: (وإذ وعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده، وأنتم ظلموت ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون « » .

-
في هاتين الآيتين يذكر الله ـ تعالى ـ بني إسرائيل بنعمته عليهم بهذا العفو العظيم؛ وذلك أن الله ـ تعالى ـ واعد موسى ﷺ ثلاثين ليلة، فأتمها بعشر؛ فصارت أربعين ليلة، فلا تأخر موسى ﷺ عن الموعد الذي ذكره لبني إسرائيل؛ فتنوا بعبادة العجل، وذلك أنهم صنعوا من الحلي من الذهب تمثالا على هيئة العجل، وهو ولد البقر الصغير،

=

١٢١٨

أحكام من القرآن الكريم

موسى
ما
وجعلوه على شكل خوار كخوار العجل، وأضلهم السامري؛ فقال لهم: إن موسى نسي، وإن ربكم هذا العجل، وهو إلهكم وإله موسى؛ فعبدوا العجل وصاروا يعبدونه من دون الله، وذكرهم هارون أخو مى ﷺ بأن إلههم هو الله - سبحانه وتعالى ـ وقال: «يقوم إنّما فينثم به، وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمرى ﴾ [طه: 90]، ولكنهم أصروا وأبوا وقالوا: * لن نبرح عليه عنكفين حتى يرجع إلينا موسى * [طه: ٩١]، فبقوا يعبدون هذا العجل حتى رجع إليهم موسى - عليه الصلاة والسلام ـ، ولما رجع إليهم موسى ﷺ قال: « يقوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى باريكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند باريكم ﴾ [البقرة: 54]، فجعل الله ـ تعالى ـ من توبتهم
أن يجتمعوا جميعا، ويأخذوا السكاكين والخناجر، ويقتلوا بعضهم بعضا، ويصبروا على هذه المحنة العظيمة، فلا فعلوا ذلك؛ تاب الله عليهم؛ فهنا يقول ـ عز وجل -: (وإذ وعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده، وأنتم ظلمون * معتدون في حق الله - عز وجل ـ؛ حيث

اتخذتم هذا العجل الذي صنعتموه بأيديكم إلها تعبدونه من دون الله، ولكن الله ـ عز وجل ـ ذكرهم النعمة عليهم؛ حيث عفا عنهم من بعد ذلك؛ لعلهم يشكرون الله على نعمه، ويتوبون إليه، ويعودون إليه.

سـورة البقـرة

٢١٩| =

فوائد هاتين الآيتين:
1ـ أن الله - سبحانه وتعالى ـ واعد موسى ثلاثين ليلة، ثم أتمها حتى صارت أربعين ليلة، ووعد الله له ثلاثين ليلة مأخوذ من آية أخرى، لكنه ـ عز وجل ـ مدّ المدة لحكمة أرادها .. سبحانه وتعالى. ٢- ومن فوائدهما: إثبات كلام الله - عز وجل ؛ لقوله: «وإذ وعدنا موسى أربعين ليلة؛ فإن هذا الوعد لابد أن يكون بوحي أو بكلام من الله - سبحانه وتعالى ـ لموسى.
سى

٣ـ ومن فوائدهما: أن بني إسرائيل حين اتخذوا العجل من بعد موسى كانوا عالمين بأنهم على غير هدى؛ لأنهم ظالمون؛ فإنهم كانوا يعبدون الله من قبل، وذكرهم هارون بأن ربهم الرحمن ـ عز وجل ـ ولكنهم أصروا واستمروا على ما هم عليه.

٤ـ ومن فوائدهما: أن الله - عز وجل ـ عفا عنهم بعد هذه الفعلة القبيحة والذنب العظيم؛ لعلهم يشكرون الله.

٥ ـ ومن فوائدهما: أن الإنسان إذا من الله عليه بالعفو ووفقه للتوبة فإنه يجب أن يشكر الله على هذا التوفيق، فكم من إنسان حرم التوبة وأصر على ما هو عليه من الذنب حتى هلك.
6ـ ومن فوائد هاتين الآيتين: إثبات الحكمة الله - سبحانه وتعالى -

٢٢

في أفعاله؛ لقوله: « ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون » فإن «لعل» ـ هنا ـ للتعليل، ولا ريب أن جميع أفعال الله مقرونة بحكمته، وكذلك تشريعاته مقرونة بحكمته؛ لأنه ـ جل وعلا ـ لا يفعل شيئا سفها، ولكن الحكمة إما أن تكون معلومة لنا، وإما أن تكون مجهولة؛ لقصورنا عن إدراكها، أو تقصيرنا في طلبها.

أحكام من القرآن الكريم

وقبل أن أنهي الكلام عن هاتين الآيتين أنبه إلى أننا ذكرنا في أول الكلام عن الفوائد أن فيها دليلا على إثبات كلام الله، والحقيقة أن هذا قد لا يؤخذ من هاتين الآيتين على وجه يسلم من الاعتراض، ولكن

يؤخذ من القصة في موضع آخر؛ حيث قال الله - تعالى -: ﴿ ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه, قال رب أرني أنظر إليك قال لن تريني وليكن أنظر إلى الجبل فإن أستقر مكانه، فسوف ترينى ﴾ [الأعراف: 143]،

-

ومذهب أهل السنة والجماعة في كلام الله - عز وجل ـ أنه حق على حقيقته، وأنه ـ تعالى ـ يتكلم متى شاء كيف شاء با شاء، يتكلم بحرف وصوت يسمعه من كلمه الله ـ عز وجل ـ؛ ولهذا تجد أن الله - سبحانه وتعالى ـ في هذه القصة لما كلم موسى قال له موسى: « رب أرني أنظر إليك قال لن تريني ولكن أنظر إلى الجبل فإن أستقر مكانه، فسوف ترينى * [الأعراف: 143]، وفي هذه القصة دليل على أن كلام الله يتعلق بمشيئته، وليس كما أطلقه بعضهم قديها أزليا، بل إن الصواب في ذلك أن كلام الله - عز وجل ـ باعتبار أصله وجنسه ـ أزلي أبدي لم يزل ولا

ج

سـورة البقـرة

٢٢١

يزال متكلها ـ سبحانه وتعالى ـ، وأما باعتبار آحاده؛ فإنه متعلق بمشيئته متى شاء تكلم با يشاء، هذا هو الذي مشى عليه أهل السنة والجماعة.

ثم قال الله - عز وجل -: (وإذ قال موسى لقومه، يقوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل

فتوبوا إلى باريكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند باريكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم ج

في هذه الآية يذكر الله - سبحانه وتعالى ـ عن نبي الله موسى ﷺ أنه وعظ قومه هذه الموعظة العظيمة بهذا التلطف العظيم: «يقوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل »، وأي ظلم أشد من أن يتخذ الإنسان مع بارئه وخالقه إلها يعبده؛ فإن هـذا أظلم الظلم؛ كما قال الله ـ تعالى ـ: « إن الشرك لظلم عظيم ﴾ [لقان: 13].

فأعظم الظلم أن يجحد الإنسان حق ربه حتى يجعل حقه لغيره، فيعبد غير الله مثلما يعبد الله - عز وجل ؛ يقول الله ـ عز وجل ـ على لسان موسى ـ عليه الصلاة والسلام -: «فتوبوا إلى باريكم»؛ أي: ارجعوا إليه من معصيته إلى طاعته، ومن الإشراك به إلى توحيده، فاقتلوا أنفسكم»؛ أي: ليقتل بعضكم بعضا، وإنها عبر بقتل النفس؛ لأن المؤمن أخو المؤمن، فكأنه هو نفسه؛ ولهذا قال الله ـ تعالى ـ في قصة الإنك: « لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنت بأنفسهم خيرا وقالوا

هذا إفك مبين ﴾ [النور: ١٢]، فأخوك المؤمن بمنزلة نفسك، ثم قال الله ـ عز وجل ـ على لسان موسى عليه السلام: «ذلكم »؛ أي: توبتكم إلى الله بقتل أنفسكم (خير لكم عند باريكم »، وكل إنسان يحب أن يكون له الخير عند بارئه ـ تبارك وتعالى ؛ لأنه خالقه المدبر له كما يشاء، فلا قتلوا أنفسهم تاب الله عليهم؛ إنه هو التواب الرحيم. أحكام وفوائد هذه الآية الكريمة:

1ـ أن موسى عليه السلام ذكر قومه بهذه الفعلة القبيحة، وبا مـن الله عليهم به من التوبة إليه، والتوبة عليهم.

٢- ومن فوائدها: أنه ينبغي للداعية أن يتلطف مع من يدعوه، وأن يذكر الألفاظ التي تكون سببا في إقبال المدعو على الـداعي وتقبلـه مـا يوجهه إليه من النصيحة؛ لأنه قال لقومه: «يقوم*.

٣ـ ومن فوائدها أيضا: أنه ينبغي لمن ذكر الـداء أن يـذكـر الـدواء؛ فإن موسى ـ عليه السّلام ـ

لما ذكر أنهم ظلموا أنفسهم عرض عليهم الدواء بالتوبة إلى الله ـ عز وجل -، وهكذا ينبغي للداعية إذا ذكر الداء والأمراض التي في المجتمع أن يذكر لهم الدواء وطريق الخلاص منها حتى يجمع بين الأمرين.

٤ـ ومن فوائد هذه الآية: بيان سفه بني إسرائيل الذين عبدوا عجلا صنعوه بأيديهم من الذهب، وعرفوا أنه تمثال، وأنه لا يستحق

من الربوبية شيئا، ومع ذلك عبدوه، وهذا دليل على سفههم. هـ ومن فوائد هذه الآية: وجوب التوبة إلى الله ـ عز وجل ؛ لقوله: « فتوبوا إلى باريكم»، وله اليوم ـ أيضا ـ وجوب التوبة إليه؛ حيث إنه هو البارئ الذي خلق؛ فله الحق علينا أن نفر من معصيته إلى طاعته، والتوبة لابد فيها من شروط خمسة: الشرط الأول: أن يخلص العبد التوبة الله - عز وجل ، وأن يكون الحامل له عليها خوف الله، ورجاء ثوابه، والخلاص من الذنب الذي
وقع فيه.

الشرط الثاني: الندم؛ بحيث يتحسر على ما حصل منه من ذنب فلا يكون الأمر عنده على حد سواء، بل يتأسف ويتندم على ما حصل منه من الذنب.

الشرط الثالث: أن يقلع عن الذنب في الحال؛ فإن كان متلبسًا بمحرم تركه، وإن كان تاركا لواجب أتى به إن كان يمكن تداركه، وإن
لم يمكن تداركه أتى ببدله إن كان له بدل، وإلا كفته التوبة. الشرط الرابع: أن يعزم على ألا يعود إلى الذنب في المستقبل، فأما إن قال: أنا تائب إلى الله، وفي نيته أنه متى سنحت له الفرصة عاد إلى الذنب؛ فإنه ليس بتائب حقيقة.

الشرط الخامس: أن تكون التوبة في الوقت الذي تقبل فيه التوبة؛ وذلك بأن يكون قبل

طلوع الشمس من مغربها وقبل حضور الأجل؛ لأنه إذا طلعت الشمس من مغربها فلا توبة، وإذا حضر الأجل فلا توبة؛ قال النبي ﷺ: «لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها»، وقال الله - تعالى -: ﴿ وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إنى ثبت العين ولا الذين يموتون وهم كفار ﴾ [النساء: ١٨].

6ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: بيان منة الله ـ عز وجل ـ على هذه الأمة؛ حيث جعل توبة بني إسرائيل بهذا الثقل وهذه الآصار، وأنه لا تتحقق توبتهم إلا إذا قتلوا أنفسهم، أما هذه الأمة ـ ولله الحمد ـ فإن التوبة تحصل بدون ذلك، تحصل با ذكرنا من الشروط، وإن لم يحدث الإنسان ضررا على نفسه.

ـ ومن فوائد الآية الكريمة: أن الإقلاع عن الذنب والتوبة إلى الله منه خير من الاستمرار عليه، بل قد يكون الإنسان بعد التوبة خيرا منه قبلها؛ أي: أن الإنسان إذا أذنب ثم تاب إلى الله؛ فإنه قد تكون حاله بعد التوبة من هذا الذنب خيرا من حاله قبل أن يذنب؛ ألم تر إلى آدم -

(1) أخرجه أحمد برقم (١٦٤٦٣)؛ وأبوداود: كتاب الجهاد، باب في الهجرة هل انقطعت، رقم

(٢٤٧٩).

سورة البقرة

٢٢٥

عليه الصلاة والسلام ـ حين أكل من الشجرة، قال الله ـ تعالى ـ في حقه:* وعصى ءادم ربه، فغوى) ثم أجتبه ربه، فتاب عليه وهدى * [طه: ١٢١، ١٢٢]، فحصل له الاجتباء والهداية بعد أن تاب من تلك
المعصية.

171

٨ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: بيان منة الله على عباده؛ حيث يقبل منهم التوبة إذا صدقوا الله ـ تعالى ـ في التوبة؛ ولهذا لما صدق بنو إسرائيل في التوبة، وقتلوا أنفسهم؛ تاب الله

عليهم «فتاب عليكم »؛ أي: قبل توبتهم وعفا عنهم.

9ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: إثبات هذين الاسمين الكريمين لله ـ عز وجل ـ؛ وهما «التواب» و«الرحيم»، وأن من مقتضاهما أن

يتوب الله - سبحانه وتعالى ـ على من تاب ويرحمه؛ فالتواب كثير التوبة على عباده، فها أكثر ما تاب الله على عباده، وما أكثر الذين يتوبون إلى الله؛ فيتوب الله عليهم، أما الرحيم فهو ذو الرحمة المقتضية للإحسان إلى الخلق إحسانا عاما؛ كما في الرحمة العامة، وإحسانا خاصًا؛ كما في الرحمة
الخاصة.

واعلم أن الرحمة تنقسم على قسمين: رحمة عامة، ورحمة خاصة؛ هي
الشاملة لكل الخلق، مؤمنهم وكافرهم، برهم وفاجرهم، والرحمة الخاصة هي الرحمة
بالمؤمنين؛ كما قال الله - تعالى -: ﴿ وكان
فالعامة

بالمؤمنين رحيما ﴾ [الأحزاب: 43]، وهذه رحمة خاصة تتصل بها سعادة
الدنيا والآخرة.

ثم قال الله ـ تعالى ـ: (وإذ قلتم ينموسى لن تؤمن لك حتى ترى الله جهرة فأخذتكم الصعقة وأنتم تنظرون - ثم بعثتكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون - وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى" كلوا من طيبات ما رزقتكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون
. -

في هذه الآيات بذكر الله - سبحانه وتعالى ـ بني إسرائيل با جرى منهم، وبما كان من إحسان الله ـ تعالى ـ إليهم؛ فأما الذي جرى منهم، فإنهم قالوا لموسى وهو يكلم الله - عز وجل ـ با شاء الله من الوحي، قالوا: «لن نؤمن لك حتى ترى الله جهرة »؛ أي: لن نؤمن لك أنك تكلم الله حتى نرى الله جهرة؛ أي: عيانا، وهذا غاية في العناد، والاستكبار، والتكذيب، فلا قالوا هذه

المقالة العظيمة صعقوا، أخذهم الموت فاتوا جميعا، ولكن الله - سبحانه وتعالى ـ من عليهم فبعثهم؛ أي: أحياهم من بعد موتهم؛ لأن موسى دعا الله ـ عز وجل - ففرج الله عنهم * قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإيني أنهلكنا يما فعل الشفهاء منا إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء

-

سـورة البقـرة

٢٢٧

أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغفرين ﴾ [الأعراف: 155]؛ فبعثهم
الله من بعد الموت؛ لعلهم يشكرون هذه النعمة إذا ذكروه. والشكر هو القيام بطاعة المنعم، وليس الشكر مجـرد قـول القائل: أشكر الله؛ لأن القول باللسان ـ إن لم يصدقه العمل والاعتقـاد ـ صـار قولا لا فائدة منه .

قال أهل العلم: والشكر يكون بالقلب، وباللسان، وبالجوارح؛ فأما شكر القلب: فأن يعترف الإنسان بقلبه أن هذه النعمة من فضل الله وحده، وليست بحول المرء وقوته، وأما شكر الله باللسان: فالتحدث بهذه النعمة؛ إظهارا لفضل الله لا افتخارا على عباد الله، ويشمل ـ أيضا ـ جميع ما يتكلم به العبد مما يقرب إلى الله ـ عز وجل ـ وأما الشكر بالجوارح: فأن يقوم الإنسان بالعمل الصالح بجوارحه: اليدين، والرجلين، والعينين، وغير ذلك من أعضائه وجوارحه، وفي هذا يقول الشاعر:

تلك
أفادتكـــم النـعـمـاء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجب ثم يذكرهم الله ـ تعالى ـ نعمة ثانية بعد أن أحياهم من الصعقة، وهي
أنه ظلل عليهم الغام من حر الشمس، فصاروا في ظل بارد؛ والغام ـ كما قال أهل العلم ـ: هو السحاب الأبيض الحاجب من حر الشمس، * وأنزلنا عليكم المن والسلوى * فالمن طعام يجدونه

٢٢٨

منتشرا على رءوس الشجر كأنه العسل، فيأكلونه، والسلوى هو الطائر المعروف بالسانة، وهو من ألذ الطيور لحا، وسمي المن منا؛ لأنه يحصل بدون تعب ولا مشقة، ومنه الكمأة؛ وهي الفقع؛ لقول النبي - عليه الصلاة والسلام _ الكمأة من المن، وماؤها شفاء للعين»(ا)، وهي وإن لم تكن من المن الذي نزل على بني إسرائيل، فهي من المن بالمعنى العام؛ لأنها توجد في الأرض بدون غرس، ولا بذر، ولا تعب في سقي
وغيره.

ثم امتن الله عليهم منة ثالثة بأن يسّر لهم أكل هذه الطيبات؛ فقال ـ تعالى : (كلوا من طيبات ما رزقتكم »، وهذه منة ثالثة؛ لأن الإنسان ربا يتيسّر له الطعام والشراب، ولكن لا يتمكن من أكله وشربه لعلة فيه، فلا يحصل به كمال المنة، وربما يحرم من الطعام والشراب لقلتها، المهم أن إيجاد الطعام أو الشراب نعمة من الله - عز وجل -، وأن قدرة الإنسان على تناول الطعام والشراب وتلذذه بذلك، وانتفاعه به من نعمة الله ـ تعالى أيضا؛ ولهذا قال: (كلوا من طيبات ما رزقتكم »؛ أي: من طيبات ما أعطيناكم.
ثم قال: (وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون »؛ أي: ما ظلمونا بمعاصيهم؛ لأن الله - سبحانه وتعالى ـ لن يعبأ بأحد، ولن
(ا) . رواه البخاري: كتاب الطب، باب المن شفاء للعين، رقم (٥٧٠٨).

يتضرر بمعصية العاصين، ولن ينتفع بطاعة الطائعين؛ كما جاء في الحديث القدسي:«يا عبادي، إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني»(1).

ولكن كانوا أنفسهم يظلمون »؛ أي: ولكن كانوا يظلمون أنفسهم؛ فالإنسان المفرط في حق الله ـ عز وجل ـ ليس ظالما لله؛ لأن
الله ـ تعالى ـ لا تنقصه ولا تضره معصية العاصين، ولا تنفعه طاعة الطائعين، ولكنه قد ظلم نفسه وهضمها ونقصها حقها؛ فإن النفس أمانة عند الإنسان يجب عليه أن يرعاها حق رعايتها، وألا يوقعها في
المهالك.

أحكام وفوائد هذه الآية الكريمة:
ا- عتو بني إسرائيل، وشدة عنادهم وتكذيبهم؛ حيث قالوا لنبيهم وهم يسمعون كلام الله:« لن نؤمن لك حتى ترى الله جهرة »، وهذا
غاية ما يكون في الطغيان والعناد.

٢ـ ومن فوائدها: أن الإنسان إذا فعل الجرم العظيم والمنكر الكبير فقد يعاجل بالعقوبة؛ ولهذا عاجل الله بني إسرائيل الذين قالوا: * لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة »، فعاقبهم بالصعق؛ فصعقوا في حال

(ا) رواه مسلم: كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، رقم (٢٥٧٧).

٢٣

أحكام من القرآن الكريم

قولهم هذا؛ ولهذا جاء بالفاء الدالة على الترتيب والتعقيب في قوله: فأخذتكم الصعقة .

3- ومن فوائدها: بيان قدرة الله - سبحانه وتعالى ـ على إحياء الموتى؛ حيث أحيا هؤلاء من موتهم؛ بدليل قوله: (ثم بعثتكم من بعد موتكم *.

٤ـ ومن فوائد هذه الآيات: أن الصاعقة أخذتهم وهم ينظرون؛ أي: ينظر بعضهم إلى بعض، يقع ميتا حتى ماتوا عن آخرهم؛ أي: مات جميع من تكلموا بهذا القول، أو رضوا به في ذلك المكان. هـ ومن فوائدها: أن الله - سبحانه وتعالى ـ ينعم على العبد برفع الضرر عنه؛ من أجل أن يشكر نعمة الله؛ فإن أسباب شكر نعمة الله إما خير يجلبه الله لك، وإما شر يدفعه الله عنك، والذي حصل لهؤلاء دفع شر وحصول خير؛ دفع شر برفع الموت عنهم، وحصول خير بإحيائهم من بعد موتهم.

6ـ ومن فوائدها: إثبات حكمة الله؛ لقوله ـ تعالى ـ: * لعلكم تشكرون »، وقد سبق مرارا ما يدل على إثبات الحكمة في أفعال الله ـ تعالى ـ كما هي ثابتة فيما شرعه؛ ولهذا يختم الله - سبحانه وتعالى ـ كثيرا من آيات الأحكام بالعلم والحكمة؛ كما في آية قسم الصدقات: * إنما الصدقات للفقراء والمسكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب

والغرمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم [التوبة: 60]، وكما في آية المواريث: « اباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكر تفعا فريضة من الله إن الله كان عليها حكيما ؟
[النساء: 11].
ـ وفي قوله ـ تعالى ـ: « وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والشلوي كلوا من طيبات ما رزقتكم وما ظلمونا وليكن كانوا أنفسهم يظلمون *؛ ففي هذه الآية من الفوائد: بيان نعمة الله ـ تعالى ـ على بني إسرائيل بتظليلهم بالغام من الحر، من حر الشمس؛ والغام هو السحاب الأبيض، وهو من أبرد السحاب ظلاً.

٨ـ ومن فوائدها أيضا: بيان قدرة الله ـ عز وجل ، وأن كـل شيء يكون فبمشيئته؛ فالسحاب المسخر بين السماء والأرض لا يجـري إلا بأمر الله وتدبيره ـ سبحانه وتعالى ـ، ولا يخفى على كثير من الناس ما جرى للرجل الذي سمع قائلا من السحاب يقول: اسق حديقة فـلان، فنزل المطر على أرض، وسـال الـوادي إلى هذه الحديقة، فتابعـه هـذا الرجل الذي سمع الصوت مـن الـسحاب حتى وصـل إلى صـاحب الحديقة، وسأله ماذا يصنع فيها، فقال له: إني أقسم ريعها ثلاثة أقسام: فثلث أعيده فيهـا ـ يعني: يصلحها بـه ـ، وثلث لي ولعيـالي، وثلـث أتصدق به، ثم سأله صاحب الحديقة عن سبب سؤاله إياه، فأخبره أنـه

أحكام من القرآن الكريم
سمع صوتا في السحاب يقول: اسق حديقة فلان، ففي هذا دليـل عـلى أن السحاب المسخر بين السماء والأرض يسير بإذن الله - عز وجل -
وأمره.

٢٣٢

9ـ ومن فوائد الآية الكريمة: ما من الله به عـلى بني إسرائيـل مـن إنزال المن والسلوى، هذا الطعام الطيب اللذيذ الذي يأخذونـه بـدون كلفة ومشقة.

١٠- ومن فوائدها: أن الله ـ تعالى ـ أنعم عليهم بتيسير الحصول عليه والتمتع به؛ حيث قال: * كلوا من طيبت ما رزقتكم »، وهذا الأمر للامتنان والإباحة.

١١ـ ومن فوائدها: أن الله إنها أذن لعباده أن يأكلوا من الطيبات دون الخبائث؛ والخبائث كل ما حرمه الله على العباد، فهو خبيث، لا ينتفعون به، ولكن ربا يحرم الله على عباده بعض الطيبات؛ عقوبة لهم؛ كما في قوله ـ تعالى ـ: « فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبنت أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا وأخذهم الربوا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل وأعتدنا للكفرين منهم عذابا أليمًا ﴾ [النساء: 160، 161]، وقد يحرم الإنسان من الطيبات لا تحريتها شرعيا، ولكن بما يصاب به من الأمراض التي تجعله لابد أن يمتنع عن بعض المأكولات والمشروبات، وهذا نوع من التحريم، لكنه تحريم كوني لا شرعي؛ فقد

يبتلى الإنسان العاصي بأمراض تمنعه من التمتع بالطيبات التي أحلها الله له.

١٢ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن ما نتمتع به من مأكول ومشروب، فإنا هو رزق من الله، وعطاء منه، ومنة، ليس بحولنا وقوتنا، وقد أشار الله ـ تعالى ـ إلى ذلك في سورة الواقعة فقال: «أفرءيتم ما تحرثون - أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون - لو نشاء لجعليه حطيها فضلتم تفكهون في إنا لمغرمون و بل نحن محرومون * *
[الواقعة: 63 - 67].
ومن المعلوم أننا لسنا الذين نزرعه وننميه، ولكن الذي يزرعه وينميه هو الله - عز وجل ـ، أما نحن فمنا السبب، والله هو المسبب - جل وعلا ـ، ثم قال ـ تعالى ـ في سورة الواقعة: « أفرءيتم الماء الذي تشربون - أنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون لو نشاء جعلته أجاجا فلولا تشكروت و أفرءيتم النار التي تورون و أنتم أنشأئم شجرتها أم نحن المنشئون و نحن جعلتها تذكرة ومتنعا للمقوين » [الواقعة: 68- 73]، فإذا علم العبد أن ما يتمتع به من النعمة هو من رزق الله؛ أوجب له ذلك الشكر الله ـ عز وجل ـ على هذه النعم، وأجب له أن يتبرأ من حوله وقوته بإيجاد هذه الأرزاق، وأوجب له أن يعرف قدر نعمة الله عليه بهذه الأرزاق، التي قد يكون كثير من الناس محروما منها.

١٣- ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن الله - سبحانه وتعالى - لن ينقص ملكه معصية العاصين ولن يضره ذلك؛ لقوله: «وما ظلمونا؛
فالإنسان - مهما كان عليه من معصية - فإنه لن ينقص الله شيئا، ولن يضر الله شيئا؛ قال الله - تعالى -: «إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين ﴾ [آل عمران: ٩٦].

-

١٤- ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن العاصي ظالم لنفسه، معتد عليها، غير قائم بها يجب لها؛ لأن نفسك أمانة عندك، فكما أنه يجب عليك أن تتوقى ما يضر بدنك حسا، فإنه يجب عليك أن تتوقى ما يضر دينك، ومن المعلوم أنه لا يجوز للإنسان أن يلقي بنفسه إلى التهلكة في الأمور الحسية؛ كالأشياء التي تضره في بدنه؛ كما قال الله - تعالى -: ولا تقتلوا أنفسكم ﴾ [النساء: ٢٩]، وقال: « ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ [البقرة: 195]، فكذلك - أيضا - لا يجوز له أن يلقي بنفسه إلى التهلكة فيها يضره في دينه، بل إن ما يضره في دينه أولى بالمراعاة مما يضره في بدنه؛ لأن ضرر الدين ضرر في الدنيا والآخرة، أما ضرر البدن فهو ضرر في الدنيا فقط.

١٥- ومن فوائد هذه الآية الكريمة: بيان قصور الآدمي، وأنه عدو نفسه، يظلم نفسه لا يشعر أنه ظالم لنفسه؛ لقول الله - تعالى -: ٥ وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) .
وهو

سورة البقـرة

١٦ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أنه ينبغي للإنسان بل يجب عليه أن يتبصر، ويتيقظ، وينظر مدى الخسارة العظيمة التي تلحقه بفعل المعاصي أو ترك الواجبات حتى يحمي نفسه من هذا الظلم وهذا
الضرر.

ثم قال ـ عز وجل -: (وإذ قلنا أدخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لك خطيكم وستزيد المحسنين - فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفشقون . في هاتين الآيتين يذكر الله بني إسرائيل بهذه النعمة التي أنعم الله بها عليهم، ولكنهم كفروها، فيقول لهم: (وإذ قلنا أدخلوا هذه القرية »، وهذا القول يحتمل أن يكون قولا كونيا أو قولا شرعيا، وأدخلوا هذه القرية *؛ وهي القرية التي فتحوها، قيل لهم: ادخلوها، فكلوا منها حيث شئتم رغدا * حلالا لكم، وأدخلوا الباب سجدا * سجدا الله ـ تعالى ـ شاكرين له هذه النعمة العظيمة التي منحكم إياها، (وقولوا حطة تغفر لك خطيكم»؛ أي: قولوا احطط عنّا ذنوبنا واغفر لنا؛ «تغفر لك خطيكم»؛ أي: نغفر لكم آثامكم وذنوبكم التي ارتكبتموها، وسنزيد المحسنين إحسانا على التوبة، إذا أحسنوا في

٢٣٦

أحكام من القرآن الكريم

معاملة الله، ولكن كانت النتيجة أن بدل الذين ظلموا قولا غير الذي
قيل لهم.
وقال: «فبدل الذين ظلموا »، ولم يقل: «بدلتم»؛ إشارة إلى أنهم كانوا ظالمين فيها بدلوه؛ بدلوا قولا غير الذي قيل لهم، قيل لهم: ادخلوا الباب سجدا، ولكنهم لم يدخلوا سُجدا، بل دخلوا على أستاههم؛ أي: على أليتهم وعجائزهم، وقيل لهم: «وقولوا حطة »؛ أي: احطط عنا ذنوبنا، ولكن لم يقولوا ذلك، بل قالوا: حنطة؛ أي: سألوا طعاما يملئون به بطونهم، فلم يسألوه مغفرة لذنوبهم.

قال الله ـ عز وجل -: «فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون » ،أنزل على الذين ظلموا؛ أي: عليهم، ولكنه كرر الظلم تشنيعا عليهم، «رجزا من السماء »؛أي: عذابا من الشاء، بما كانوا يفسقون » ؛أي: بسبب فسقهم وخروجهم عن طاعة الله ـ

عز وجل .

في هاتين الآيتين يذكر الله - سبحانه وتعالى ـ بني إسرائيل بـا أنعـم عليهم من إباحة دخول هذه القرية فاتحين آكلين مما رزقهـم الله أكـلا رغدا لا شبهة فيه، ويذكرهم ـ أيضا ـ بأنه أمـرهـم بـا فـيـه مـصلحتهم وحسن عاقبتهم، وهـو أن يقولوا: «حطـة»؛ أي: احطـط عـنـا ذنوبنـا واغفر لنا حتى يغفر لهم، ثم يذكرهم الله - عز وجل ـ أنهم بـدلـوا قـولا

سورة البقـرة

٢٣٧

غير الـذي قـيـل لهـم، فـلـم يـدخلوا سُجدا، ولم يقولوا: حطـة ظلها، وعدوانا، وإنكارا لفضل الله ـ تعالى ـ عليهم ونعمته؛ فكـانـت عـاقبتهم أن أنزل الله عليهم رجزا من السماء؛ بسبب فسقهم وخروجهم عـن
طاعة الله .

ما يستفاد من هذه الآية الكريمة:
1ـ منة الله عليهم؛ أي: على بني إسرائيل بها أباح الله لهم من دخول هذه القرية، وما أباح لهم من أكل ما رزقهم منها رغدا ليس فيـه حـرج ولا تبعة.

٢ـ ومن فوائدها أيضا: أن الله أمرهم بأن يـدخلوا البـاب شـجدا؛ ويتفرع عن هذا مشروعية السجود، سجود الشكر عند تجدد النعم؛ كا هو المشروع في شريعتنا أن الإنسان إذا تجددت له نعمة، فإنه يسن له أن يسجد الله ـ تعالى ـ شكرا؛ وسجود الشكر سجود مجرد ليس صلاة، بـل يكبر الإنسان ويسجد، ويقول: سبحان ربي الأعلى، سبحانك اللـهـم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي، ثم يثني على الله ـ تعالى ـ بما أنعم بـه مـن
هذه النعمة، ويشكره عليها، ثم يرفع بدون تكبير ولا تسليم. 3ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أنه ينبغي للإنسان إذا نصره الله ويسّر له أسباب النصر ألا يغتر بنفسه، وألا يعجب بعمله، بل يسأل الله المغفرة، مغفـرة الـذنوب؛ حتى لا يشمخ، ويتعـالى، ويترفع؛ لقوله

٢٣٨

أحكام من القرآن الكريم

ـ تعالى ـ: «وقولوا حطة ؟.
٤ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن الله ـ تعالى ـ وعد من استغفر وطلب منه مغفرة الذنوب أن يغفر له؛ لقوله: «تغفر لك خطيكم»، وهذا مشروط بها إذا كانت التوبة نصوحًا، وقد مر علينا من قبل بيان التوبة النصوح؛ وهي التي جمعت خمسة شروط.

هـ ومن فوائد الآية الكريمة: أن الله ـ تعالى ـ يزيد المحسنين من فضله إحسانا وفضلاً، وهذا كقوله ـ تعالى : (وإذ تأذت ربكم لين شكرتم لأزيدنكم ولين كفرتم إن عذابي لشديد ﴾ [إبراهيم: 7]، وكقوله ـ تعالى ـ: « هل جزاء الإحسان إلا الإحسن ﴾ [الرحمن: 60]؛ فالله - سبحانه وتعالى ـ أكرم من عبده وأجزل عطاء؛ الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة.

6 ـ ومن فوائد هاتين الآيتين: أن بني إسرائيل من أبعد الناس عن شكر نعمة الله؛ ولهذا بدلوا قولا غير الذي قيل لهم؛ فبدلوا قول الله لهم
: «وادخلوا الباب سجدا » بدلوه بأن دخلوا يزحفون على أستاههم وعجائزهم، وبدلوا قول الله ـ تعالى -: (وقولوا حطة » بقولهم: «حنطة»؛ يعني: أنهم لم يهتموا بذنوبهم، وإنها كان همهم أمرا ماديا، وهو أن يشبعوا بطونهم.
ـ ومن فوائد هاتين الآيتين: أن من خالف أمر الله؛ فإنه حري بأن

سورة البقرة

٢٣٩|

يعذب ويعاقب؛ لقوله ـ تعالى ـ: «فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون * .

هـ ومن فوائد هاتين الآيتين: إثبات الحكمة والعلة لأفعال الله، وأن أفعال الله ـ تعالى ـ مربوطة بحكمها وأسبابها؛ لقوله: «فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء ؛ فإن قوله: «على الذين ظلموا » كالتعليل لإنزال الرجز؛ أي: أنهم إنا أنزل عليهم الرجز لظلمهم، وعلة أخرى وهي فسقهم؛ لقوله ـ تعالى ـ: «بما كانوا يفسقون ؟. - ومن فوائد هاتين الآيتين: إثبات الأسباب في المقتضيات لمسبباتها، وهذا ـ لا شك ـ من تمام حكمة الله أن ربط الأشياء بأسبابها، وهو دليل على أن الله - عز وجل ـ لا يخلق خلقا عبثًا، ولا يشرع تشريعا باطلا؛ * وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما بطلًا ذالك ظنّ الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ؟

رج

ثم قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿ وإذ استسقى موسى لقومه، فقلنا أضرب بعصاك الحجر فأنفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم" كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض
مفسدين ج .
في هذه الآية الكريمة يذكر الله ـ تعالى ـ بني إسرائيل بهذه النعمة

= ٢٤٠

أحكام من القرآن الكريم

العظيمة التي يجريها على يد نبيه موسى ؛ فبينما كان موسى وقومه محتاجين إلى الماء استسقى موسى لقومه، فسأل الله ـ تعالى ـ أن يسقيهم، فأمره الله ـ عز وجل ـ أن يضرب بعصاه الحجر، فضرب الحجر؛ فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا، حجر واحد نبعت منه اثنتا عشرة عينا على عدد أسباط بني إسرائيل؛ فإنهم كانوا اثني عشر سبطا، هذه العيون توزعت، فعلم كل أناس مشربهم، هؤلاء مشربهم هذه، وهؤلاء مشربهم هذه، وهؤلاء مشر بهم هذه؛ لئلا يحصل التزاحم بينهم والتقاتل على الماء.

قال الله ـ تعالى ـ: «كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين * فأباح الله لهم ـ امتنانا منه وفضلا ـ أن يأكلوا ويشربوا من رزق الله، وأن يقيدوا هذه النعم بشكرها؛ فلا يعثون في الأرض مفسدين، وإفساد الأرض ليس الإفساد الحسي الذي يكون بتدمير الديار، وتخريب الآبار والحروث، ولكنه بالمعاصي؛ كما قال كثير من السلف في قوله ـ تعالى ـ: « ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها *
[الأعراف: 56]، قال: لا تفسدوها بالمعاصي، ولا شك أن المعاصي سبب في الدمار والفساد الحسي؛ لقول الله ـ تعالى ـ: (وما أصبكم من مصيبة فبما كسبت أيديكز ويعفوا عن كثير ﴾ [الشورى: 30]؛ ولقوله - تعالى -: ﴿ ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون ﴾ [الروم: ٤١].

ورة البقـرة

فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة:
١ - افتقار الخلق إلى الله، ولو كانوا أعلى أصناف الخلق وهم الرسل؛ ولهذا استسقى موسى لقومه، واستسقى أشرف الأنبياء محمد لقومه حين دخل رجل يوم الجمعة والنبي ﷺ يخطب فقال: «يا رسول الله، هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله يغيثنا، فرفع رسول الله ﷺ يديه ورفع الناس أيديهم، وقال: «اللهم أغثنا ثلاث مرات، قال أنس بن مالك ـ وهو راوي الحديث «والله، ما نرى في السماء من سحابة ولا قزعة، وما بيننا وبين سلع" من بيت ولا دار - وسلع جبل صغير في المدينة يخرج من نحوه السحاب ـ قال: فطلعت من ورائه سحابة مثل التُرس ـ والترس شيء يتقي به المقاتل السهام لا تصيبه، وهو شيء يشبه الطست فلا توسطت السماء انتشرت، ثم أمطرت»، فما نزل النبي ﷺ عن المنبر إلا والمطر يتحادر من لحيته، الله أكبر! فبقي المطر أسبوعا كاملا، وسالت الأودية حتى سال الوادي قناة ـ وهو واد مشهور في المدينة حتى الآن ـ شهرا كاملاً، وفي الجمعة الثانية دخل رجل أو الرجل الأول والنبي ﷺ يخطب ـ فقال: يا رسول الله، غرق المال وتهدم البناء، فادع الله يمسكها
حين القتال
حتى

(١) القزعة: هي القطعة من السحاب.
(٢) هو جبل معروف بالمدينة.

أحكام من القرآن الكريم

عنا، فرفع النبي ﷺ يديه، وقال: «اللهم حوالينا ولا علينا»، ولم يقل: اللهم أمسكها عنا كما طلب الرجل؛ لأن إمساك المطر ليس من مصلحة الإنسان؛ ولكن من مصلحته أن ينزل المطر على وجه لا ضرر فيه فقال: «اللهم حوالينا ولا علينا»، وجعل يشير إلى المناحي بيده ـ عليه الصلاة والسلام ـ فيتايز السحاب حيث أشار النبي و، وخرج الناس يمشون في الشمس»(1).

ففي هذه القصة، وفي قصة موسى ـ صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم ـ دليل على أن الخلق مفتقرون إلى الله مهما بلغت منزلتهم عند الله ـ عز وجل ؛ فإن موسى قال الله عنه: (وكان

عند الله وجيها ﴾ [الأحزاب: 69]، ومحمد ﷺ أعظم الناس وجاهة عند ربه، ومع ذلك كل منها مفتقر إلى الله، يسأله ويلجأ إليه، ويتضرع إليه، فإذا كان هذا مقام

الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ فما بالك بمقام من دونهم؟ ويتفرع عن هذه الفائدة أنه يجب على الإنسان إذا أصابه الضر ألا يلجأ إلا الله ـ عز وجل ـ، لا يلجأ إلى فلان وفلان من الأحياء أو الأموات فيدعوهم ويستغيثهم، ويسألهم كشف الضر؛ فإن دعوة غير الله ـ عز وجل ـ شرك، شرك أكبر مخرج عن الملة؛ قال الله ـ تعالى ـ:

(1) أخرجه البخاري: كتاب الاستسقاء، باب الاستسقاء في خطبة الجمعة، رقم (١٠١٤)؛ ومسلم: كتاب صلاة الاستسقاء، باب الدعاء في الاستسقاء، رقم (٨٩٧).

سورة البقـرة

١٢٤٣

(أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف الشوء ويجعلكم خلفاء الأرض اوله مع الله ﴾ [النمل: ٦٢]، ليس هناك إله مع الله يستطيع هذا.

٢ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: بيان ما حصل من عصا موسى من الآيات؛ حيث ضرب بها الحجر فانفجر عيونا، وهذه العصا حصل فيها ثلاث آيات عظيمة: إحدى الآيات: أنه إذا ألقاها صارت حية تسعى، والآية الثانية: أنه ضرب بها هذا الحجر فانفجر عيونا، والآية
الثالثة: أنه ضرب بها البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم. 3ـ ومن فوائد هذه الآية: بيان عظم قدرة الله ـ عز وجل ـ؛ حيث تفجر من هذا الحجر ـ الذي ضربه موسى بالعصا ـ اثنتا عشرة عينا والناس ينظرون، فهذا دليل على كمال قدرة الله، وأنه ـ عز وجل ـ إذا أراد شيئا فإنها يقول له: كن؛ فيكون، قال أهل العلم: وما من آية لنبي إلا كان لنبينا ﷺ مثلها أو أعظم منها، إما على يد النبي ﷺ مباشرة أو على يد أتباعه الذين صدقوا في اتباعه، قالوا: وهذا الماء الذي تفجر من الحجر لموسى ﷺ حصل لنبينا ﷺ ما هو أعظم منه؛ فإن الناس في نزوة الحديبية أصابهم عطش وقلة ماء، فجاءوا إلى رسول الله ﷺ وكان بين يديه ركوة ـ إناء من جلد صغير ـ فقالوا: يا رسول الله، عطشنا ـ يعني: شكوا إليه قلة الماء ـ، فوضع النبي ﷺ يده في هذه

١٢٤٤١

الركوة، وجعلت هذه الركوة تفور كأمثال العيون؛ فارتوى الناس كلهم بإبلهم ورجلهم، وكانوا ألفا وأربعمائة أو قريبا من ذلك. فخروج هذا الماء ونبوعه وفورانه من هذه الركوة أعظم من خروجه من الحجر؛ لأن الحجر جرت العادة أن تتفجر منه العيون؛ كا قال الله ـ تعالى ـ: « وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهر ﴾ [البقرة: ٧٤]، أما الركوة فلم تجر العادة أن تتفجر العيون منها، ولكن الله ـ تعالى ـ على كل شيء قدير (إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون * [يس: ٨٢]، وقال الله ـ تبارك وتعالى -: « أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليما قديرا ؟ ش
[فاطر: ٤٤].

٤ـ ومن فوائد هذه الآية: أنه ينبغي قسم الماء بين الناس عند الكثرة وتوزيعه عليهم؛ حتى لا يحصل الازدحام والاقتتال، والعداوة والبغضاء بينهم؛ لأن النفوس مجبولة على محبة الاستئثار بالشيء، فإذا وزع الشيء وصار كل طائفة لهم جهة معينة مخصوصة؛ كان ذلك أقرب إلى السلامة مما يترتب من الآثار السيئة على اجتماعهم على

(١) انظر البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، رقم (٤١٥٢)؛ ومسلم: كتاب الجهاد والسير، باب غزوة ذي قرد وغيرها، رقم (١٨٠٧).

سورة البقرة

١٢٤٥

مشرب واحد.
هـ ومن فوائد الآية الكريمة: بيان ما امتن الله به على بني إسرائيل من هذا الماء والطعام الذي أذن لهم في أكله وشربه؛ فقال ـ عز وجل -: كلوا واشربوا من رزق الله ؟ .

6 ـ ومن فوائد الآية الكريمة: جواز إضافة الماء النابع إلى المختص به؛ لقوله: «قد علم كل أناس مشربهم، وفي هذه الإضافة فائدة وهي أن صاحبه يكون أحق الناس به، ولا يزاحمه أحد عليه، أما جواز بيعه وعدمه فهذا له شأن آخر.

ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أنه يجب على المرء ـ إذا أنعم الله عليه نعمة ـ أن يجعل النعمة سببا للقيام بطاعته، لا سببا للأشر والبطر؛ ولهذا أعقب قوله: (كلوا واشربوا من رزق الله ؟ أعقبه بقوله: «ولا
تعثوا في الأرض مفسدين »؛ لأن الطبيعة البشرية إذا لم يؤيدها الله تعالى ـ بالوحي من طبيعتها أن تحملها سعة الرزق على الأشر والبطر؛ ولهذا نهى بني إسرائيل عن العثو في الأرض فسادا، حيث يسّر لهم الأكل والشرب من رزق الله ـ عز وجل ؛ ويتفرع على هذا أن يتذكر الإنسان، ويفكر فيها من الله عليه من النعم؛ حتى لا يجعلها سببا للأشر والبطر، ونسيان أوامر الله، والكفر بشريعة الله .

١٢٤٦

أحكام من القرآن الكريم

ثم قال الله - تعالى -: (وإذ قلتم ينموسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك تخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقتابها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مضرا فإن لكم ما سألثم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءو بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بنايت الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . في هذه الآية يذكر الله ـ عز وجل ـ بني إسرائيل با جرى لهم مع نبيهم موسى ﷺ حين قالوا له: «لن نصبر على طعام واحد ، وهذا الطعام الواحد هو المن والسلوى الذي أنزله الله عليهم بدون كلفة وبدون مشقة، وهو من أطيب أنواع الطعام، لكنهم ـ والعياذ بالله ـ لم يصبروا على هذه النعمة، وطلبوا من موسى ﷺ أن يدعو لهم ربه؛ ليخرج لهم مما تنبت الأرض لا مما ينزل من المن والسلوى. ن بقلها وقتابها وفومها وعدسها وبصلها ، كل هذه الأنواع من الأطعمة هي أقل بكثير ودون ما أنزل الله عليهم من المن والسلوى؛ ولهذا قال لهم نبيهم موسى ـ عليه السّلام ـ «أتستبدلون الذي هو أذى بالذي هو خير»، وهذا الاستفهام للإنكار عليهم؛ يعني كيف يليق بكم أن تستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير؟ أي: أن تأخذوا الأدنى بالأعلى، هذا لا يليق بكم، وإذا شئتم هذا الأدنى؛ فلا

سورة البقرة

٢٤٧

حاجة إلى دعاء الله - عز وجل ـ أن يخرجه لنا.
«أهبطوا مضرا »؛ أي: أي مصر تهبطونه تجدون هذا الشيء؛ لأن هذه أنواع منتشرة، ليست أنواعا من أطيب الأنواع التي لا توجد إلا في محل دون محل، ولا يقدر عليها إلا واحد دون آخر، بل هي أنواع موجودة مبذولة؛ ولهذا قال: «أهبطوا مضرا »، وليس المراد مصر المعينة؛ بل المراد: أي مصر كان تهبطونه؛ فإنكم ستجدون ذلك، فإنّ لكم ما سألتم »، ومن أجل عدم الصبر على طعام واحد، ومن أجل المعاصي العظيمة التي ارتكبوها؛ ضربت عليهم الذلة والمسكنة، الذلة في القلوب، والمسكنة في الجوارح؛ فكانوا أذل الناس، وأجبنهم، وأخوفهم؛ ولهذا تجد اليهود أذل الناس وأجبنهم؛ لأنهم ضربت عليهم الذلة والمسكنة؛ قال الله ـ تعالى ـ: « لا يقتلونكم جميعا إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ﴾ [الحشر: 14].

ع

ج

وباء ويغضب من الله »؛ أي: رجعوا بغضب من الله عليهم؛ حيث كفروا نعمته، وعصوا رسوله، ولم يصبروا على نعمه؛ قال: وبا، وبغضب من الله، وعلل ذلك بقوله: «ذلك بأنهم كانوا يكفرون بنايت الله ؟؛ يكفرون بآيات الله الكونية والشرعية؛ ففي الآية الكونية: لم يصبروا على طعام واحد، ولم يقتنعوا بهذه الآية

=

|٢٤٨|

أحكام من القرآن الكريم

العظيمة، ويشكروا الله عليها، أن أنزل عليهم المن والسلوى، وفي الآية الشرعية: قيل لهم: «قولوا حطة» فبدلوا وقالوا: «حنطة»، وأمروا فلم يأتمروا، ونهوا فلم ينتهوا؛ فكفروا بآيات الله، وبسبب هذا الكفر وقتلهم النبيين بغير حق ضربت عليهم الذلة والمسكنة، وكان هذا القتل للنبيين والكفر بآيات الله عصيانًا عظيا؛ ولهذا قال: ذالك يما عصوا وكانوا يعتدون * فكانوا عصاة معتدين، نسأل الله العافية. فوائد هذه الآية الكريمة:

١- في هذه الآية من الفوائد: بيان سفه بني إسرائيل؛ حيث لم يصبروا على هذا الطعام

الطيب الذي أنزله الله من السماء؛ تكريا لهم وإتماما للنعمة، ولكنهم كفروا به وقالوا: «لن نصبر على طعام واحد؟ ٢- ومن فوائدها: جواز التوسل بدعاء من تُرجى إجابته؛ فإن هؤلاء قالوا: «فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض»، وقد قررت شريعتنا هذا النوع من التوسل؛ فإن الناس كانوا يأتون إلى رسول الله يسألونه أن يدعو الله لهم؛ كما في قصة الرجل الذي دخل يوم الجمعة والنبي ﷺ يخطب، فقال: يا رسول الله، هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله يغيثنا، وكما قال عكاشة بن محصن ـ حين تحدث النبي ﷺ: أنه يدخل من أمته سبعون ألفا، يدخلون الجنة بلا
(١) سبق تخريجه ص (١٧٤).

سورة البقرة

حساب ولا عذاب، فقال عكاشة بن محصن: ادع الله أن يجعلني منهم
قال: «أنت منهم»(1).

١٢٤٩

فالتوسل إلى الله بدعوة من تُرجى إجابته جائز، ولكن هل هو أمر مطلوب أم لا؟ نقول: إن كان لأمر عام فهو أمر مطلوب؛ يعني: أنه يسن للإنسان أن يطلب أو أن يتوسل بدعاء من تُرجى إجابته في أمر عام للمسلمين؛ كما طلب عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ من العباس بن عبد المطلب أن يستسقي للمسلمين"، وكما في طلب الرجل الذي قال لرسول الله: «ادع الله أن يغيثنا...»، وأما إذا كان لأمر خاص فإن كان طالب الدعاء يريد بذلك ان ينفع المطلوب إذا دعا لأخيه بظهر الغيب؛ فإنه يكون محسنا إليه ويرجى أن تجاب دعوته، ويعطى مثلها؛ لأن الرجل إذا دعا لأخيه بظهر الغيب؛ قال الملك: آمين ولك بمثلها، أما إذا قصد المتوسّل بدعاء من تُرجى إجابته مصلحة نفسه الخاصة فهذا لا ينبغي، بل قد صرح بعض أهل العلم بأنه من المسألة

(١) انظر البخاري: كتاب الرقاق، باب يدخل الجنة سبعون ألفا بغير حساب، رقم (٦٥٤٢)؛ ومسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب، حديث رقم (٢١٦).
(٢) أخرجه البخاري، كتاب الاستسقاء، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا، رقم

(١٠١٠).

(3) أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب، رقم (٢٧٣٢).